

التأويل في القرآن الكريم
د. فاطمة وكال محمد قويدر رحمان
جامعة الجزائر 2 - الجزائر.

الملخص :

يعتبر التأويل أداة لكشف المعاني ، وكل تأويل تسبقه وتلقبه تأويلات لا بد أن يكون فيها اختلاف والنص القرآني باعتباره نصا مقدساً لا بد وأن نتوخى الدقة في تأويله مقارنة بالنصوص الأخرى ، ولهذا فقد أصبح التأويل من بين أهم المجالات بحثاً ، وسنتناول في هذا المقال مفهوم التأويل عند العرب " لغة واصطلاحاً " خاصة عند الفرق الكلامية وبعض الأئمة بالإضافة إلى أهمية المعنى في العملية التأويلية .
الكلمات المفتاحية: التأويل ، المعنى، المتشابه

Abstract:

Hermeneutics is considered as a tool to reach the meaning, and each interpretation is preceded and followed by other different interpretations. Concerning the Quran, we must be accurate in interpreting this sacred text comparing to other texts and thus Hermeneutics became an important field of research. in this article, we are going to explain the concept of Hermeneutics literally speaking and its scientific signification, especially among theological sects and some scholars, in addition to the importance of meaning in Hermeneutic procedures.

Key words: Hermeneutics, the meaning, Similar .

المؤلف المرسل: فاطمة وكال، محمد قويدر رحمان

مقدمة :

يقع التأويل في جذر المعرفة الإنسانية سواء علمية كانت أو عامية ، فهو يرتبط بعمليات الإدراك و امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم ، ولهذا أصبح التأويل

ضرورة حتمية، كما أن النشاط التأويلي الواحد لا يعني القراءة الواحدة بالضرورة ، بل هو تكامل مجموعة قراءات تتضافر فيما بينها لتحصل على معنى أو معان تزداد عمقا وتتجه نحو تعيين مستويات مختلفة من الفهم .

فالتأويل في بدايته كان مقتصرًا على النصوص الدينية ، ليتسع مجاله بعد ذلك فيشمل التأويل النصي و الخطابي بحيث مهما تعددت الخطابات و تنوعت أصنافها فإنه لا بد أن نحمل الخطاب على الحقيقة والمجاز ، و نقصد بالخطاب على الحقيقة أنه لا يحتاج إلى تأويل لما فيه من وضوح المعنى و الغرض المقصود منه ، أما إذا كان الخطاب على المجاز فيجب إلزامه للتأويل حتى تتلاءم دلالاته مع الخطاب الظاهر ويحدث التواصل المطلوب .

و يعتبر التأويل أداة لكشف المعاني التي تقوم بمهمة تحويل الكتابة إلى كلام و معنى مثلما يتم تحويل الكلام و المعنى إلى كتابة في مرحلة أولى ويشكل هذا التحول فعلا غير محدود، وفي هذا السياق يشير دريدا إلى أن النص آلة تنتج سلسلة من الإحالات اللامتناهية ، فالنص هنا كون مفتوح لا تقوى أي قراءة على الإلمام بكل نواحيه ومعناه الشامل ، وانطلاقا مما سبق ماذا نقصد بالتأويل ؟ وفيما تتمثل علاقة المعنى بتأويل النص القرآني ؟.

1/ مفهوم التأويل:

مصدر " تفعيل " فعله الماضي " أَوَّلَ من آل يُوَوِّلُ إلى كذا إذا صار إليه ، وأَوَّلَتْهُ تأويلا إذا صيرته إليه ، فَال و تَأَوَّلَ و هو مطاوع أَوَّلَتْهُ ، كما نجد في جل المعاجم اللغوية العربية موضوعاً لكلمة التأويل وهي بمعنى الرجوع و نقول : أَوَّلَ الكلام و تَأَوَّلَهُ : دَبَّرَهُ و قَدَّرَهُ ، فالتأويل يعني العودة إلى المعاني و إعادة تقديرها، وإعمال الفكر فيها واستنباط معان جديدة من النصوص.

وإذا رجعنا إلى " تهذيب اللغة ". أقدم معجم لغوي ، يحدّد مدلول هذا اللفظ : "بالرجوع إلى الأوّل وأصله آل ، يُؤَوِّلُ أوْلاً".¹

¹ أبو منصور محمد بن محمد الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي ، عام 197 ج/1 ص

التأويل في القرآن الكريم

قال الله تعالى : "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ" [الأعراف 53].

كما يفيد لفظ التأويل عند صاحب مختار الصحاح معنى التفسير ، أي "تفسير ما يُؤُولُ إليه الشيء وأولته وتأويله بمعنى واحد".²

و قال "الأزهري" : "التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه".³ بمعنى أن التأويل يكون في الكلام الذي يحتمل معان عديدة .

و يرى ابن منظور أن لفظة التأويل من " أول إليه الشيء، رجعه".⁴ وكما يعني التأويل أيضا التحري والطلب حيث يقول "الزمخشري" ، " تأمله فتأولت فيه الخير أي توسمته وتحريته".⁵ والتأويل من حيث الاشتقاق فيه قولان :

الأول :«أنه من آل يؤول أولا مالا أي عاد ورجع ويقال أول الكلام تأويلا وتأوله دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ ، قيل إن أصله من المأل وهو العاقبة والمصير». والثاني :«أنه مشتق من الإيالة ، وهي السياسة ، فكان المؤول للكلام يسومه ويضعفه وتقول العرب قد ألنا وإيل علينا أي سُسنا و سيس علينا ، أي سأسنا غيرنا».⁶

أما في التراث الفكري العربي فإننا نجد مصطلح التأويل يستخدم عند قدامى المفسرين كالطبري (ت 310 هـ) الذي أطلق اسم التأويل على تفسيره إذ نجده يحدد مدلول هذا اللفظ في كلام العرب بأنه التفسير والمرجع والمصير ، وأصله من آل الشيء إلى كذا إذا صار ورجع يؤول أولا ، وأولته أنا ، إذ صيرته إليه ، و يفسر قوله تعالى :«ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا».[النساء 58] بالجزاء ، لأن الجزاء هو ما آل إليه أمر القوم. ومن جهة أخرى، فإن مصطلح " التأويل "

² الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم ، ط، 1979، 3، ج، 4، ص: 1627.

³ الأزهري ، تهذيب اللغة ، ص 418

⁴ ابن منظور، لسان العرب ، دارصادر بيروت ، عام 1956 ، ج/ 1، ص 25.

⁵ الزمخشري ، أساس البلاغة ، كتاب الشعب ، 1960 ، ج/ 1، ص 25.

⁶ مصطفى السعدني ، تأويل الشعر ، قراءة أدبية في فكرنا النحوي ، المعارف ، 1996، ص: 13.

يرتبط عند علماء العقيدة بالنصوص العقدية المتشابهة فالمفهوم الواقعي للتأويل عند المسلمين هو محاولة تفسير النصوص القرآنية " الكتاب و السنة " .
مثلما سنرى لاحقاً، أن العرب اشتغلوا بأشكال التأويل ، مثلما انشغلت به قبلهم باقي الأمم ، لأن عملية التأويل ضرورية أثناء العملية الحوارية وذلك لطلب معرفة ما خفي منها وبطن.

1-1 التأويل عند الأصوليين :

نجد مفهوم التأويل عند "الجرجاني" في كتابه التعريفات هو " صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله موافقا للكتاب و السنة"⁷.
و يتبين من هذا التعريف أن للفظ ظاهر و باطن، فاللفظ عند الأصوليين ينقسم بحسب ظهور معناه و خفائه و مراتب هذا الظهور والخفاء إلى واضح الدلالة و خفيّ الدلالة.
و نقصد بواضح الدلالة ما دل على معناه بصيغته من غير توقف على أمر خارجي.
أما خفي الدلالة ما استيسر معناه لذاته أو لأمر آخر ، فلا يفهم معناه إلا بغيره.

و عرفه "السرخسي الحنفي" بأنه "تبيين بعض ما يحتمل المشترك بقالب الرأي والاجتهاد أو هو ما تصير إليه عاقبة المراد بالمشترك بواسطة الرأي"⁸.
و عرفه "الغزالي" بقوله "احتمال يعضده دليل ، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل على الظاهر"⁹.
أما ابن تيمية فقال بأنه «صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتزن به»¹⁰

⁷ الشريف الجرجاني علي بن محمد ، التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت 1985 ص:52.

⁸ السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل ، أصول السرخسي ج/1 ، ص :128.

⁹ أبو حامد الغزالي محمد بن محمد ، المستصفى في علم الأصول دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، سنة 1993 ، ج/1

ص:387.

¹⁰ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع و ترتيب عبد

الرحمن بن محمد بن قاسم ، رسالة الأكاليل في المتشابهة و التأويل ، ج 1 ص :288.

التأويل في القرآن الكريم

و واضح من خلال هذه التعريفات اشتراكها جميعا في اختيار التأويل خلاف الأصل لأنه أخذ بالاحتمال بغير الظاهر.

ولكن التأويل عند الأصوليين ليس مباحا إلا بمقتضى و بأدلة تؤهله للقبول قال الإمام الغزالي «.... وليس كل تأويل مقبولا بوسيلة كل دليل بل ذلك يختلف ولا يدخل تحت ضبط.»¹¹.

كما أشار "الشافعي" في رسالته إلى الشروط الواجب توفرها في المؤول أثناء عملية التأويل: " ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها ، وهي بأحكام كتاب الله فرضه وأدبه ، و ناسخه و منسوخه ، وعامّه و خاصّه و إرشاده . ويستدل على ما احتمل منه بسنن علم رسول الله . فإذا لم يجد سنة فإجماع المسلمين ، فإذا لم يكن إجماع فبالقياس ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما نصّ قبله من السنة و أقاويل السلف و إجماع الناس و اختلافهم ، و لسان العرب ، و لا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشبه ولا يعمل بالقول به دون تثبت." ¹² وسيكون لنا حديث عن هذه الشروط لاحقا.

فالشافعي في قوله هذا يرى أن التأويل مرادف للقياس وهو عبارة عن طريق لكي يتوصل به الأصوليون إلى المضامين الشرعية غير ظاهرة في اللفظ.

2.1 التأويل عند المعتزلة:

يعتمد التأويل عند المعتزلة على الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهبهم بشكل عام ، وهي التوحيد ، و العدل ، و الوعد و الوعيد ، و المنزلة بين المنزلتين ، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما أنهم يتوسلون به لإثبات المسائل التي يخالف فيها غيرهم ، و طريقتهم في هذا تنبني على رؤيتهم للنص القرآني و التي هي عقلية في الأساس.

ينظر المعتزلة إلى القرآن من خلال عقيدتهم فيُخْضِعُونَ آيته لآرائهم التي يقولون بها ، من المعلوم أنه لا يمكن إنكار ثبوت الآيات القرآنية ، لهذا فهم يلجؤون إلى

¹¹ أبو حامد الغزالي ، المستصفى ص: 386.

¹² محمد بن ادريس الشافعي ، الرسالة ، (د.ط.) ج/9 ، ص: 5.

تأويلها حين لا توافق مذهبهم ، وأبرز ما يستعينون به هو المجاز ، فهو المخرج لهم لإثبات عقيدتهم من الآيات المتشابهة ثم يحاجون حضورهم بالعقل.

من الأمثلة على ما حملوه على المجاز قوله تعالى: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» [الأعراف 182].

فنجد القاضي عبد الجبار يمنع جواز إرادة المعنى الحقيقي إي يقول باستحالة أخذ الآية على ظاهرها يقول: "وفي الخبر أَنَّ جميع بني آدم أخذ عليهم الموثيق من ظهر آدم عليه السلام، وكيف يصح ذلك ؟ وجوابنا أن القوم مخطئون في الرواية فمن المحال أن يأخذ عليهم الموثيق وهم كالذر لا حياة لهم ولا عقل فالمراد أنه أخذ الميثاق من العقلاء ، بأن أودع عقلهم ما ألزمهم إذ فائدة الميثاق أن يكون منها ، وأن يذكر المرء بالدنيا والآخرة وذلك لا يصح إلا في العقلاء ، وظاهر الآية بخلاف قولهم ، لأنه تعالى أخذ من ظهور بني آدم ، لها من آدم ، والمراد أنه خرج من ظهورهم ذريةً أَكْمَلَ عَقُولَهُمْ ، فأخذ الميثاق عليهم ، وأشهدهم على أنفسهم بما أودعهم عقولهم" ¹³.

وهو هنا أيضا يَرُدُّ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بحجة معارضة العقل ويؤَوِّل الآية ويخرجها عن ظاهرها.

وكذا الشريف المرتضى ببراعته اللغوية يصرف الآية إلى ما يوافق عقيدته في نفي أن تكون لله عز وجل نفس فيقول في تأويل قوله تعالى: «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ» [المائدة 116] "إن النفس في اللغة لها معانٍ مختلفة ووجوه في التصرف متباينة ، فالنفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان ، وهي التي إذا فقدتها خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [آل عمران 185] ، والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فَعَلَ ذَلِكَ فلانٌ نَفْسُهُ إذا

¹³ القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن ، دار النهضة الحديثة لبنان ، ص: 140.

التأويل في القرآن الكريم

تَوَلَّى فعله ، و النفسُ الأَنْفَةُ من قولهم : لَيْسَ لِفُلَانٍ نفس ، أي لا أَنْفَةً له ثم ذكر معانٍ أخرى للنفس منها الإدارة ، و العين التي تصيب الإنسان إلى أن يقول " والنفس الغيب يقول القائل ، إني لا أَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ ، أي غيبه وعلى وهذا تأويل قوله تعالى: «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ غَيْبِكَ» والذي يحمله على هذا " أَنَّ نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع ، نزل ما يكتمه و يجتهد في ستره منزلتها وتسمّى باسمها فقليل فيه إنه نفسه ، مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء.¹⁴

و يظهر من خلال هذا الكلام تأثر الرجلين بالمذهب الاعتزالي تأثر عظيمًا فلا يكاد أحدهما يَمُرُّ بآية تعارضُ مذهبه إلّا صرفها عن ظاهرها و مال بها إلى ناحية مذهبه.

3.1 التأويل عند الشيعة:

الشيعة في الأصل ، هم الذين شايعوا علياً و أهل بيته ووالوه ، وقالوا إن علياً هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و إِنَّ الْخِلَافَةَ حق له ، لا تخرج عنه في حياته و لا عن أبنائه بعد وفاته ، و هذه الطائفة هي من أقدم المذاهب الإسلامية و قد انقسمت إلى حد كبير ، و من الطبيعي أن تبحث كل فرقة عمّا يعضد آرائها و ينصر مذهبها . ليس في ثبوت القرآن الكريم خلاف إلا قليلا عند غلاتهم ، بالتالي فهم يتوجهون إلى يَيِّ أعناق الآيات حتى تلائم عقيدتهم.

الشيعة كغيرهم من الفرق الإسلامية يتمسكون بالدليل القرآني إن كان فيه ما يدعم مذهبهم وإلّا فهم يحاولون بشتى الطرق جعله موافقاً ، حتى و إن أدّى ذلك إلى إخراج اللفظ القرآني الذي وضع له وسيق لأجله. ويعتبر التأويل سمة بارزة على تخريجاتهم للمعاني و ركيزةً يعتمدون عليها في إقامة معتقداتهم ، كما أن التأويل غير مستند إلى اللغة العربية وعلومها بل هو بما تمليه عليه عقائدهم و أهواءهم من الأمثلة على تأويلات الشيعة تفسير الباب* قوله تعالى: «إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إِنِّي رأيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً و الشمس والقمر رأيتهم لي

¹⁴ الشريف المرتضي، غرر الفوائد ودرر القلائد (د، ط) ج 2، ص: 6-9.

* الباب ، لقب ميرزا علي محمد منشئ طائفة البابية من الشيعة ولد سنة 1235 هـ و الباب عند الشيعة نائب المهدي

المنتظر ، قتل رميا بالرصاص سنة 1256 هـ.

ساجدين» ، يقول "وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نَفْسَ الرسول ، و ثمرة البتول ، حسين بن علي بن أبي طالب مشهوداً.....

إذ قال حسين لأبيه يوماً: إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً و الشمس والقَمَرَ رأيتهم بالإحاطة على الحق لله القدير سجداً.....وإنَّ الله تعالى قد أراد بالشمس فاطمة ، و بالقمر محمداً و بالنجوم أئمة الحق في أم الكتاب معروفاً ، فهم الذين سيكون على يوسف بإذن الله سُجداً و قياماً".¹⁵

من الواضح خروج التأويل هنا عن الصواب فهو لا يستند لأي شيء إنما هو تحميل الآية ما لا تحمل من المعاني ، و هذه هي طريقتهم حتى الأغلب الأعم و إن ورد غير هذا فهو مما تأثروا به من مذهب المعتزلة في استناد إلى اللغة العربية ، ويقول الطبرسي في مسألة رؤية الله عز و جل في نفسي قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» [القيامة 32]. "وإلى ربها ناظرة" اختلف فيه على وجهين : أحدهما أنَّ معناه نظرة العين و الثاني أنَّه الانتظار و اختلف من حَمَلَهُ على نظر العين على قولين وهنا يذكر تأويلاتهم بأنه نَظراً إلى ثواب ربها وردَّ الذين يقولون بأنَّه نظر إلى معانيه بأدلة عقلية كالتي يستدل بها المعتزلة في نفي الرؤية. والوجه الآخر أنه الانتظار لثواب الله و حمله "إلى" في الآية على أنها اسم من الآلاء إلى غير ذلك".¹⁶

بالتالي فجل مذهبهم يعتمد على تقسيم القرآن إلى باطن و ظاهر ، والباطن هو ما اختص به أئمتهم المعصومون بعلمه و تأويله و من ثم فهم يؤولونه.

4.1 التأويل عند الغزالي: 450 هـ. 505 هـ :

لقد حُصِّ مبحث التأويل عند الغزالي باهتمام كبير بسبب تعلق فهم النصوص من الكتاب و السنة التي لا تكون فيها الدلالة على المعنى المقصود واضحة بينة به. ولقد كان جل تركيز الغزالي في باب التأويل منصبا على ما تعلق منه بالأحكام الشرعية ، ونلمس ذلك من خلال العرض المستفيض عنه في الكتاب الذي ألفه في علم أصول الفقه " المستصطفى من علم الأصول". ومن جهة أخرى نجد أبا حامد

¹⁵ محمد بن حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة، ج 2 ، ص : 192.

¹⁶ محمد بن حسين الذهبي. المرجع السابق، ص: 98.

التأويل في القرآن الكريم

يقف موقف المتصوف من حيث كونه يجوز التأويل عند ما تقتضيه الضرورة الشرعية إذا كان صادرا عن أهل المعرفة ذوي المكابدة والمجاهدة من المتصوفة " وأما موقف العامي منها فيكون التصديق بها مع الاعتراف بالغجز عن فهمها ، والتسليم فيها لأهل المعرفة القادرين على إدراك المعنى المراد منها"¹⁷.

لقد سعى أبو حامد الغزالي إلى اتخاذ موقع وسط بين الذين خاضوا في التأويل. فقد كان هناك من الطوائف من يقدم العقل و أبعادوا النقل مطلقا، ومنهم نقيض ذلك بأن قدموا النقل وأبعادوا العقل مطلقا، وطائفة ثالثة جعلوا العقل أصل النظر و ضعفت عنايتهم بالنقل ، وطائفة رابعة قدمت النقل و تطرفوا من المعقول ولم يغيصوا فيه، والفرقة الخامسة -وهي التي ينصر لها الغزالي- هي الفرقة الخامسة الجامعة بين البحث عن المعقول و المنقول جاعلين كليهما أصلا.

يعرف الغزالي التأويل بقوله " التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل ، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر"¹⁸. إن أول ما يتناوله هذا التعريف أنه يشترط أن يكون الكلام محتملا ثم لكي نرجح واحدا من المعاني المحتملة ينبغي وجود دليل أو قرينة تعضده.

5.1 التأويل عند ابن رشد : 520هـ - 595هـ :

يرى أن التأويل هو "إخراج اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجور ، ومن تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنة ، أو غير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي"¹⁹.

و معنى هذا القول أن نخرج اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي ، ونجد ابن رشد يرى أن الشريعة قسمان : ظاهر و مؤول

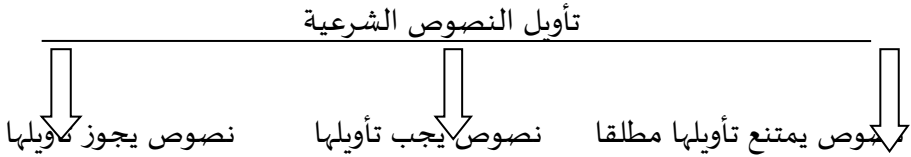
¹⁷ ينظر الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام، ص:5، عن محمد يوسف موسى: بين العلم والفلسفة، دار العصر الحديث، ط1988، 2، ص:138.

¹⁸ الغزالي: المستصفى من علم الأصول، ج3، ص:56.

¹⁹ فصل المقال : فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال ، و تحقيق محمد عمارة دار المعارف ط، الثانية ، 1983م نص:32.

1/ فالظاهر: فرض على الجمهور .

2/المؤول : فرض على العلماء .وهو بهذا خلاص إلى أن تأويل النصوص الشرعية تكون على ثلاثة أصناف.



أ - النصوص التي يمتنع تأويلها مطلقا : وهي النصوص - حسب ابن رشد- التي لا تؤول لكون المعنى الظاهر من النص هو المعنى الحقيقي ، وهذه النصوص تكون متعلقة بالأصول وهي "الإقرار بالله وبالنبوات ، وبالسعادة الأخروية و الشقاء الأخروي" ²⁰ .

ب- النصوص التي يجب تأويلها : وهي النصوص التي جاء ظاهرها مخالفا لأحكام القياس البرهاني فالأخذ بظاهرها كفر ، وتركها كفر ومن هذا الصنف آيات الاستواء ، وحديث النزول ، وهذه النصوص لا يؤولها إلا الفلاسفة من أهل البرهان وقد استند ابن رشد فيما ذهب إليه في قوله تعالى << هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات >> إلى قوله << ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم >> (آل عمران الآية 7)

ج - النصوص التي يجوز تأويلها : وهذا النوع من النصوص يرى فيه البعض ضرورة تأويله في حين يذهب البعض إلى أنه لا ضرورة لتأويله يقول ابن رشد << وها هنا صنف ثالث من الشرع متعدد بين هذين الصنفين يقع فيه شك ، فيلحقه قوم ممن يتعاطى النظر بالظاهر الذي لا

²⁰ الغزالي .المصدر السابق ، ص :45.

التأويل في القرآن الكريم

يجوز تأويله ، ويلحقه آخرون بالباطن الذي لا يجوز حمله على الظاهر للعلماء ، ذلك لعواصة هذا الصنف و اشتباهه >>²¹ .

2/ المعنى وأهميته في العملية التأويلية :

اهتم مؤولو القرآن الكريم بالمعنى لأنه دون الكشف عن هذا الأخير لا يمكن استخراج أحكام القرآن ومعرفة كيفية النطق بألفاظه والكشف عن مدلولاته الإفرادية والتركيبية ، فهو إذن عنصر أساسي يقوم عليه التأويل، فمثلا نجد في القرآن اختلاف المعنى بين آيتين متباعدتين في سورة واحدة مدعاة للتأويل مثلا : قال عز وجل "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " [النساء:03] وقوله أيضا في أواخر السورة "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " [النساء:129]. فالآية الأولى تُفهم إمكان العدل و الثانية تنفيه ويعني هذا أن اللفظ قد يحمل وجوه فهم النفي والإثبات فالمعنى هو القصد والمراد ، ويقال :عנית الكلام كذا أي قصدت وعمدت"¹ ، وقال آخرون أنه مشتق من قول العرب :عנית الأرض نباتات حسن إذا نبتت نباتا حسنا وقال الفراء "لم تعن بلادنا بشئ إذا لم تنبت

22,,

وبهذا فالمعنى لقي اهتماما واسعا من طرف علماء اللغة وعلماء الكلام وعلماء الأصول والفلاسفة، حيث بدأ في أواخر القرن الثالث هجري من خلال مجموعة من الكتب من بينها " البرهان في وجوه البيان. و"معاني الشعر" للأشنانداني و معاني القرآن " للفراء، " روح المعاني " للألوسي أيضا .

ولعل السبب في هذا الاهتمام - بمفهوم المعنى - هو محاولة فهم بيان القرآن وفي هذا السياق يقول الجرجاني " المعاني هي الصورة الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ و الصورة الحاصلة في العقل من حيث

²¹ نفسه ، ص: 45.

²² ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامهما .تح عمر الطباع ، ط1 مكتبة المعارف ، بيروت

1933 ص: 192.193.

أنها تُقصدُ باللفظ سميت معنى و من حيث أنها تَحْصُلُ من اللفظ في العقل سميت مفهوماً²³

فالمعنى إذن يحتكم إلى سياق التعبير ويرتبط أيضاً بالمضامين الدلالية انطلاقاً من صياغاتها التركيبية ، وارتباط التفسير بالمعنى يأتي من أن العملية التفسيرية أو التأويلية هي بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها. ويمكن أن نعد المعنى وتعددده في القرآن سبباً رئيسياً للتأويل ، ولهذا سنتعرف على أنواع المعنى الداعية للتأويل في النص القرآني :

1- **المعنى العام** : يقصد به العموم والإشمال وهو عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً²⁴ وهذا النوع من المعنى يدل على أفراد لا حصر لهم بمعنى الشمول لجميع أفرادهم ، ومن هنا جاء التأويل في هذا المعنى على سبيل الشمول والاستغراق مثل قوله تعالى " حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها "[الكهف: 26] . وفي هذه الآية لم يقل (استطعما) للتأكيد على العموم ، وإنما لم يتركها أحداً من أهلها إلا استطعما وأبى . وهذا دليل على مقابلة السيئة بالحسنة.

2- **المعنى المحتمل** : أي الاحتمال في المعاني التي تؤدي إلى التأويل كقوله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم "[التغابن: 16] ، فالمعنى هنا قد يحتمل أن يكون من باب التسهيل ويحتمل أن يكون من باب التشديد بمعنى أنه ما وجدت الاستطاعة فاتقوا .

3- **المعنى المشكل** : الإشكال هو ما أشكل من الأمر أي ما التبس، وقد يشكل المعنى عندما يكون اللفظ محتملاً لمعنيين أو أكثر كقوله

تعالى: " ومن يكسب خطيئة أو إثماً "[النساء: 112] . يحدث الإشكال لإمكان أن يُراد بالخطيئة ما وقع خطأ ، وبالإثم ما وقع عمداً .

²³ الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص : 235، 236

²⁴ ينظر الغزالي المستقصى من علم الأصول ، ص 168.

التأويل في القرآن الكريم

4- المعنى المتشابه : جاء في لسان العرب "من شبه عليه خلط الأمر حتى اشتبهه بغيره"²⁵ وهو أكثر أنواع المعنى تأويلا وتشابها ويدخل في ضمن المعنى الغيبي ونجد ذلك خاصة في فواتح السور مثل "ألم" "حم"، "كهيعص"، "ص" وهذه يتعذر معرفة المقصود منها .

وأصل التشابه أن يشتهب اللفظ الظاهر مع اختلاف المعاني ، كما قال الله تعالى "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم" [النساء: 157] ، وقال "وأتوا به متشابهاً" [البقرة: 25] ، ومنه أيضا قوله تعالى عن حكاية بني إسرائيل "إن البقر تشابه علينا" [البقرة: 70] أي تماثل واشتبه.

والتشابه مثل "المشكل" ، لأنه أشكل ، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله"²⁶ .

ومن هنا دخل التأويل إلى معنى التشابه لأن المعاني إذا دقت تداخلت وتشابهت على من لا علم له بها ، والمعنى المتشابه في القرآن هو "يشابه بعضه بعضا في الحق والصدق ، والإعجاز والبشارة والندارة ، وكل ما جاء به ، وأنه من عند الله ، فذم سبحانه الذي يتبعون ما تشابه منه عليهم افتتاناً وتضيلاً"²⁷

وسنركز هنا على التشابه من الألفاظ لأن هذا الأخير شغل المفسرين والفقهاء وحتى الفلاسفة والمتصوفة لما يترتب عن التأويل من أحكام وأراء وأفكار وقد نحى المفسرون في هذا الموضوع منحى يرتبط باللغة والنحو والإعراب والتراكيب والمفردات، كما يرتبط بموضوعات علوم القرآن الأخرى مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وألفاظ العموم والخصوص فما معنى التشابه ؟

ابن منظور ، لسان العرب ج مادة "شبه" .²⁵

الاسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصماني ، درة التنزيل و غرة التأويل تج: محمد مصطفى آيدين ، ج1 ط2001 ص 48.²⁶

¹ ينظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن تج محمد أبو الفضل إبراهيم ج2 ط3 مكتبة التراث ، 1984 ص70.71.

يستعمل المتشابه في اللغة للدلالة على المشاركة في المماثلة المؤدية إلى الالتباس غالبا : يقال تشابها واشتبا أي أشبه كل منهما الآخر حتى التباسا ، ويقال أمور مشتبهة أي مشكلة وغامضة ، والشبهة الالتباس والمثل ، ومنه "قوله تعالى في وصف ثمر الجنة " وأتوا به متشابهها " [البقرة 25] ، أي متفق المناظر مختلف الطعوم "²⁸.

و المتشابه هو " الذي يحتمل أكثر من وجه من وجوه الرأي والنظر، لما فيه من اشتباه في الدلالة على كثير من الناس ، أو بعضهم "²⁹ وقد اختلف العلماء في معرفة المتشابه والاطلاع على معانيه فهناك من يرى :

1- عدم إمكانية تعيين معنى المتشابه ويعدده مما استأثر الله بعلمه لقوله تعالى في سورة آل عمران : " وما يعلمه إلا الله والراسخون في العلم يقولون ربنا أمانا به كل من عند ربنا " [الآية 7 آل عمران] وبهذا فقد فسر بعض المفسرين أنه يجب الوقوف عند الله ي هذه الآية لأن الواو هنا ليست واو العطف وإنما هي واو الاستئنافية .

ويمثل هذا الرأي جمهور من السلف مثل : عبد الله بن عمرو وعائشة وعمر ابن عبد العزيز .

2- إمكانية معرفة المتشابه عند فئة الراسخين في العلم ويعتبر أن الواو في الآية السابقة هي واو العطف ويمثل هذا الاتجاه عبد الله بن عباس وأبو الحسن الأشعري وغيرهم .

3- أنه يمكن التوفيق بين الرأيين السابقين بحيث أنه توجد آيات استأثر بها الله عنده في علم الغيب مثل : وقت الساعة ، الجنة والنار ، الوعد والوعيد ، في حين توجد آيات لا يعلم تأويلها إلا الراسخون في العلم . ومن بين الذين تحدثوا عن الأمر ابن رشد وقد أشرنا إلى ذلك سابقا .

المرجع السابق ، الصفحة نفسها .²⁸

الاسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل ج 1 ص 51.²⁹

التأويل في القرآن الكريم

3- أنواع المتشابه القرآني: والمتشابه على نوعين :

الأول : المتشابه المعنوي: هو الذي في مقابلة المحكم .

الثاني: المتشابه اللفظي : هو عبارة عن الآيات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة في غالبيتها لكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ، تقديم أو تأخير ونحو ذلك .

قال الزركشي في كتابه: " وهو - أي علم المتشابه - إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة"³⁰ ، ولزيادة التوضيح أحاول أن أذكر بعض أوجه التي يقع فيها التشابه الواردة في القرآن وذلك من خلال ما أتى به الزركشي :

- 1- ما يشتهه بالزيادة والنقصان : مثاله في سورة البقرة " فمن تبع هداي" [38] وفي طه " فمن اتَّبَعَ هُداي" [123].
 - 2- ما اشتبه بالتقديم والتأخير ومثاله في سورة البقرة : " ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل" [48] وقوله فيها أيضا : "ولا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة" [123].
 - 3- إبدال حرف بحرف غيره ومنه في طه : "أفلم يهد لهم" [128] بالفاء ، وفي السجدة : " أولم يهد لهم" [26] بالواو .
 - 4- إبدال كلمة بأخرى ، ومنه في سورة البقرة " فانفجرت" [60] وفي الأعراف "فانفجست" [160] .
 - 5- ما يشتهه بالجمع والإفراد : ومنه في البقرة : " لن تمسنا النار إلا أياما معدودة" [80] ، وفي آل عمران : " لن تمسنا النار إلا أياما معدودات" [24].
- * منشأ التشابه وتأويله : قُسم التشابه باعتبار منشئه إلى ثلاثة أضرب:

الاسكافي ، المرجع السابق ص 53.³⁰

أ- متشابه من جهة اللفظ : هو ما كان التشابه فيه من جهة اللفظ فقط ، أي راجع إلى خفاء في اللفظ وحده ، وهو على نوعين :
-النوع الأول : ما كان سبب التشابه فيه ناشئاً من جهة الألفاظ المفردة ذاتها إما لغرابتها لقلة استعمالها

مثل لفظة "الأب" في قوله تعالى " وفاكهة وأباً" [عبس 31] . وهو ما ترعاه الهائم بدليل الآية التي تليها "متاعا لكم ولأنعامكم" [الآية 32] ، وإما لكونها تنتسب إلى المشترك كلفظة "يمين" في قوله تعالى " فراغ عليهم ضربا باليمين" [البقرة 228] ، أي : فأقبل إبراهيم على الأصنام التي يعبدها قومه باليد اليمنى لا اليسرى باعتبار أن الضرب باليمين أشد لأنها اليد الأقوى ، أو ضارباً لها ضرباً بسبب اليمين التي حلفها ونوّه بها القرآن إذ قال " وتا الله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين" [الصافات 93] ، فلفظة يمين تتحمل أكثر من معنى ولا يمنع ذلك من ترجيح أولها .

-النوع الثاني : ما كان فيه التشابه ناشئاً من جهة الإيجاز كقوله تعالى:"وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم" (النساء03) "فالفاء واقعة في جواب إن الشرطية وهي في الأصل عاطفة لما بعدها على جملة مقدرة هي جواب الشرط"³¹ .
وإما أن يكون التشابه فيه متأبياً من جهة بسطه مثل قوله تعالى " ليس كمثله شيء" [الشورى 11].

وإما أن يكون التشابه متأبياً من جهة ترتيبه مثل قوله تعالى " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب" [الكهف 1] .

ب- متشابه من جهة المعنى : ويكون التشابه في هذا الضرب من جهة المعنى مثل آيات الصفات التي توهم ظاهرها تشبيه الله بخلقه كقوله

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 5 ص 12/ 11³¹

التأويل في القرآن الكريم

تعالى "الرحمان على العرش استوى" [طه 5] وقوله: "وقالت اليهود يد الله مغلولة" [المائدة 64] وقوله "ولتصنع على عيني" [طه 39] وقوله أيضا "وجاء ربك والملك صفا صفا" [الفجر 22] ، بالإضافة إلى أوصاف أحوال القيامة وما فيها من أهوال (البعث ، النشور ، الحشر، الصراط ، الجنة ، النار...) وكل ما يتعلق بأمور الغيب التي لا يمكن لنا أن ندرك حقيقتها وقد عبر عنها بكونها معان سامية .

ج- متشابه من جهة اللفظ والمعنى معا : وهو على خمسة أنواع هي :

1— تشابه من جهة الكمية كالعموم والخصوص مثل قوله تعالى "فاقتلوا المشركين" [التوبة 5] فهل اللفظ خاص بالمشرك أم كافة الأفراد من صبيان ونساء وعجزة .

2— تشابه من جهة الكيفية مثل الوجوب والندب والإباحة مثل قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه" [البقرة 282]. فالكتابة في هذه الآية هل هي واجبة أو مندوبة أو مباحة .

3— تشابه من جهة الزمان فقط مثل الناسخ والمنسوخ .

4— تشابه من جهة الزمان والمكان معا .

5— تشابه من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة ، البيع.

4-الخلاصة :

يتلخص من كل ما سبق أن التأويل يصبح ضرورة حين يُشكل فهم الكلام، ولا بُد حينئذ لمن يُقدم على ممارسة التأويل أن ينضبط بشروط حتى يستقيم بشكل صحيح ويتجنب كل مسالك التأويلات الفاسدة .

يحذر الشيخ ابن القيم من خطورة التأويل إذا استخدم في غير مكانه ومن غير أهله، كما وقع في الأديان السابقة، وبعض الفرق الإسلامية كما سبق وأن ذكرنا ذلك.

وقد بدت بعض شروط التأويل الصحيح واضحة من خلال ما توافق، ونص عليه العلماء ليكون التأويل صالحا ومقبولا، و ليخرج بذلك التأويل المطلق أو الفاسد ، وهي:

- أن يكون الناظر المتأول أهلا لذلك .

_ أن يكون اللفظ مما يقبل التأويل أصلا وداخلا في مجاله.

_ أن يقوم التأويل على دليل صحيح قوي يؤيده ، أو أن يكون الدليل الصارف للفظ عن مدلوله الظاهر راجعا على ظهور اللفظ في مدلوله .

_ أن يكون اللفظ محتملا للمعنى الذي آل إليه لغة أو من عرف الاستعمال أو عادة الشرع.

_ ألا يتعارض التأويل مع نصوص قطعية الدلالة في التشريع.

_ أن يكون المعنى الذي يؤول إليه النص أرجح من معناه الظاهر الذي صرف عنه وذلك بدليل مرجح .

التأويل في القرآن الكريم

5-قائمة المراجع :

- ¹ أبو منصور محمد بن محمد الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تحقيق إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي ، عام 197 ج/1 ص 438
- ² الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم ، ط1979،3،ج4،ص:1627.
- ³ الأزهرى ، تهذيب اللغة ، ص 418
- ⁴ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، عام 1956 ، ج/1 ، ص 25.
- ⁵ الزمخشري ، أساس البلاغة ، كتاب الشعب ، 1960 ، ج/1 ، ص 25.
- ⁶ مصطفى السعدني ، تأويل الشعر، قراءة أدبية في فكرنا النحوي ، المعارف ، 1996،ص:13.
- ⁷ الشريف الجرجاني علي بن محمد ، التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت 1985ص:52.
- ⁸ السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل ، أصول السرخسي ج/1 ، ص :128.
- ⁹ أبو حامد الغزالي محمد بن محمد ، المستصفى في علم الأصول دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، سنة 1993 ، ج/1 ، ص:387.
- ¹⁰ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحلیم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، رسالة الأكاليل في المتشابهة و التأويل ، ج 1 ص :288
- ¹¹ أبو حامد الغزالي ، المستصفى ص:386.
- ¹² محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة ، (د، ط)، ج/9 ، ص:5.
- ¹³ القاضي عبد الجبار ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، دار النهضة الحديثة لبنان ، ص:140.
- ¹⁴ الشريف المرتضي ، غرر الفوائد ودرر القلائد (د، ط) ج 2 ، ص:6-9.
- ¹⁵ محمد بن حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة القاهرة ، ج2 ، ص 192.:
- ¹⁶ المرجع السابق ، ص: 98.
- ¹⁷ ينظر الغزالي: إجماع العوام عن علم الكلام، ص:5، عن محمد يوسف موسى: بين العلم والفلسفة، دار العصر الحديث، ط1988، 2، ص:138.

- ¹⁸ الغزالي: المستصفى من علم الأصول، ج3، ص:56.
- ¹⁹ فصل المقال : فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال ، و تحقيق محمد عمارة دار المعارف ط، الثانية ، 1983م نص:32.
- ²⁰ المصدر السابق ، ص :.45
- ²¹ نفسه ، ص :.45
- ²² ابن فارس الصاحي في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامهما .تح عمر الطباع ، ط1 مكتبة المعارف ، بيروت 1933 ص: 192.193.
- ²³ الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص : 235،236
- ²⁴ ينظر الغزالي المستصفى من علم الأصول ، ص. 168
- ²⁵ ابن منظور ، لسان العرب ج مادة "شبه" .
- الاسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصمهاني ، درة التنزيل و غرة التأويل تح:
- ²⁶ محمد مصطفى أيدين ، ج1 ط2001 ص 48.
- ²⁷ ينظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن تح محمد أبو الفضل إبراهيم ج2 ط3 مكتبة التراث ، 1984 ص70.71.
- ²⁸ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
- ²⁹ الاسكافي ، درة التنزيل و غرة التأويل ج1 ص 51.
- ³⁰ الاسكافي ، المرجع السابق ص 53.
- ³¹ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج5 ص 11/ 12